مجلة كلية الدعوة الإسلامية

مجلة إسلامية ثقافية تصدر سنوياً

العدد الثانى

1985

- من قضايا الفكر والعقيدة
- مذاهب بلا إسلام
- معارف إسلامية
- مخطوطات ليبية
- دور الفكر الواقعى فى النهضة الإسلامية

خصائص الأسماء والأفعال الوضعية

• الاستاذ بشير زقلام •

تزخر لغتنا العربية بغزارة مادتها وكثرة معانيها ، ووسيلتنا فى التخاطب بها هو استعمال مفرداتها التى تتناسب مع المقام ومراعاة قواعد النحو التى هى ميزان الكلام ، فالحركة او الحرف لهما دور كبير فى النظم ، فالنفى بلم مثلا غير النفى بلا ، واستعمال ان يختلف عن استعمال اذا ، وما يفيده الفعل غير ما يفيده الاسم وهكذا مما جعل الاقدمين ينتبهون لهذه الاشياء ويتصدون بالبحث والتنقيب عنها فى كتاب الله وما وصل اليهم من اقوال العرب منظوما ومنثورا حتى تمكنوا بجهودهم من وضع قواعد ومقاييس دقيقة تبين المعانى الخفية لهذه الاساليب حيث ان الخطأ فى استعمالها يؤدى الى فساد المعنى وعدم حصول الفائدة المرادة .لذا فمن الواجب على الانسان العربى والمسلم فهم هذه القواعد ليستقيم لسانه وليقتصر على مراده ، وهذا ما دعا عبد القاهر الجرجانى الى ان يقول : (اعلم ان ليس النظم الا ان تضع كلامك الوضع الذى يقتضيه علم النحو ، وتعمل على قوانينه واصوله وتعرف مناهجه التى نهجت فلا تزيغ عنها وتحفظ الرسوم التى رسمت فلا تخل بشىء منها) (١)

وقد خ«ر ببالى ان اعرض لبعض الموضوعات التى تفيد القارىء عند التخاطب وتفيده فى ادراك المعنى الاصلى الذى تحويه الكلمة فى بطون الكتب ، مشيرا فى هذا الموضوع الى خصائص التعبير بالاسم او التعبير بالفعل .

ومن نافلة القول ان نذكر ان الكلمة العربية التى نريد استعمالها اما ان تكون اسما واما ان تكون فعلا واما ان تكون حرفا ومن مجموع هذه الانواع يتألف الكلام ، فالكلام العربى اذا لا يتكون من جزء واحد بل لابد ان يشتمل علىمسندومسند اليه سواء اكانا اسمين أم فعلا واسما ام اسما وفعلا .

ولكل تركيب خصائص ومميزات دقيقة تختلف عن خصائص ومميزات غيره برغم انها قد تفيد المعنى المطلوب من وجهة نظر المتكلم غير الملم بالقواعد والاحكام .

فالفعل يؤدى الى تقييد المسند بأحد الازمنة الثلاثة لأن الفعل دال بصيغته على احد الازمنة من غير احتياجه الى قرينة مع افادة الفعل التجدد والحدوث فقولنا مثلا « يسافر خالد » افاد التعبير بالفعل سفر خالد فى زمن الحال او الاستقبال مع استمراره ولعل ذلك يبدو واضحا فى قول طريف بن تميم العنبرى :

او كلما وردت عكاظ قبيلة ... بعثوا الى عريفهم يتوسم .

فعكاظ : مكان سوق كبير مشهور بين العرب تجتمع فيه الادباء والشعراء يتباهون ويتفاخرون ويتنافسون ومعنى عريفهم : القيم بأمرهم وهو المشهور والمعروف بذلك ، ويتوسم : اى يصدر منه تفرس الوجوه وتأملها شيئا فشيئا ولحظة بعد لحظة . ومن هنا كان التعبير بالفعل أولى حتى يدل على تجدد التوسم شيئا فشيئا وهذا الغرض لايفى به الاسم .

ومانجده أيضا فى قوله تعالى :

(هل من خالق غير الله يرزقكم) ـ ٣ فاطر ـ

يعطى الفعل صورة واضحة لتجدد الرزق شيئا بعد شىء فلو عبر بالاسم وقال « **رازقكم** » لفات ماأفاده الفعل من هذا المعنى .

ونجد التعبير بالفعل أيضا فى قصة يوسف مبينا هيئة إخوته وحالتهم المتجددة فى قوله تعالى :

(وجاءوا أباهم عشاء يبكون) ـ ١٦ يوسف ـ

فهذا التعبير أشعر بأنهم يجددون بكاءهم فى هذه الفترة شيئا فشيئا .

ومن جهة أخرى نجد أن المقام يتطلب التعبير بالاسم لأن الحالة ثابتة غير مقيدة بزمن ، وهذه من خصائص الاسم حيث انه يدل على ثبوت المعنى لمن حكم به عليه مع عدم دلالة

اقترانه بزمان الا اذا وجدت قرينة مثل الآن أو غدا . فقولنا مثلا : محمد مسافر ، دل على ثبوت سفر محمد وتأكيده مع عدم تجدده .

وقد رأى الشاعر نضر بن جؤبه أن الامر يتطلب التعبير بالاسم فى قوله :

لايألف الدرهم المضروب صرتنا ... لكن يمر عليها وهو منطلق .

ليفيد ان الانطلاق من الصرة ثابت للدراهم دائما من غير تجدد ، وهذا الغرض لايفى به إلا الاسم ،والصرة : هى مايجمع فيه الدراهم .

كما نجد أنه سبحانه وتعالى يستعمل الاسم فى المقام الذى يتطلب الثبوت والدوام ، ومن ذلك ماجاء فى قصة أهل الكهف حيث ناموا نومة طويلة تقدر بثلاثمائة وتسع سنوات ، ولازال كلبهم ثابتا على صورته وهيئته فى هذه الفترة الزمانية فقال :

(وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد) ـ ١٨ الكهف ـ

فجاء التعبير القرآنى فى وصف صورة وهيئة الكلب دالا على ذلك بالتعبير الاسمى الذى يشير الى ثبوت هيئة الكلب ، فلو عبر بالفعل فقال : « **يبسط** » لأنبأ عن تجدد واكتساب فعل جديد .

وقوله تعالى :

(فخرج منها خائفاً يترقب) ـ ٢١ القصص ـ

أراد أن يشير الى صفة ثابتة فى الذات وليست متجددة فقال :« **خائفا** » أما الترقب فهو متجدد بتجدد الملاحظات ، ولم يحط بهذه الملاحظات الا الفعل الدال على التجدد .

وفى هذا الخصوص يشير عبد القاهر الجرجانى الى دلالة الاسم بقوله :(موضوع الاسم على أن يثبت به الشىء للشىء من غير اقتضاء أن يتجدد ويحدث شيئا فشيئا ، فلا نعرض فى قولنا : زيد منطلق لأكثر من اثبات الانطلاق فعلا له ، كما فى زيد طويل وعمر قصير) . (٢)

من يعضد هذا الرأى أيضاالزمخشرى عند الكلام على قوله عالى :

(انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشى والاشراق والطير محشورة كل له اواب) ١٨ ـ ١٩ ص « فإن قلت: هل من فرق بين يسبحن ومسبحات؟ قلت نعم ؟ وما اختير يسبحن على مسبحات الا لذلك وهو الدلالة على حدوث التسبيح من الجبال شيئا

بعد شيء وحالا بعد حال، وكأن السامع حاضر تلك الحال يسمعها تسبح ، ومثله قول الأعشى :

لعمرى لقد لاحت عيون كثيرة ... الى ضوء نار فى بقاع تحرق

ولو قال محرقة لم يكن شيئا، وقوله: « محشورة » فى مقابلة يسبحن الا أنه لم يكن فى الحشر ما كان فى التسبيح من ارادة الدلالة على الحدوث شيئا بعد شيء جيء به اسما لا فعلا، وذلك أنه لو قيل : وسخرنا الطير يحشرن على ان الحشر يوجد من حاشرها شيئا بعد شيء و الحاشر هو الله عز وجل لكان خلفا لأن حشرها جملة واحدة أدل على القدرة . (٣)

ومما سبق نتبين الحكمة من التعبير القرآنى فى قوله تعالى: (الذين ينفقون) ٢٧٤ البقرة ـ ولم يقل (المنفقون) لأن الانفاق من شأنه التجدد وهذا ما يفيده الفعل .

ويعتمد التعبير القرآنى على الاسم فى كثير من المواضع كقوله (المؤمنون) و (المتقون) و (المسلمون) ليبين ان حقيقة الايمان ثابتة فى القلب وكذلك التقوى والاسلام . (٢)

ومن هنا يتضح ان سلام ابراهيم عليه السلام أبلغ من سلام الملائكة فى قوله تعالى :

(قالوا سلاما قال سلام) ـ ٦٩ هود فنصب (سلاما) الأولى يدل على التجدد لأن الجملة فعلية على ارادة فعل أى سلمنا سلاما، أما رفع « سلام » الثانية فانها تدل على الثبوت والاستقرار لأنها مرتفعة بالابتداء . (٤)

وكأنه قصد أن يحييهم بتحية أحسن مما حيوه بها كقوله تعالى :

(واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أوردوها) ـ ٨٩ النساء ـ غير أن هذه القضية وهى : (دلالة الاسم على الثبوت والفعل على التجدد والحدوث) لا تعدم من ينكرها: فقد ورد فى « البرهان » ان ابا المطرف أنكر فى كتابه « التمويهات » دلالة الاسم على الثبوت والفعل على التجدد والحدوث فقال: هذا رأى غريب ولا مستند له نعلمه ، ثم قال : كيف يفعل بقوله تعالى : « **ثم انكم بعد ذلك لميتون ثم انكم يوم القيامة تبعثون** » ١٥ ـ ١٦ المؤمنون .

كما ذكر الزركشى أيضا ان ابن المنير أنكر ايضا هذه الخصائص فى الاسم والفعل وقال : ان طريقة العربى تدبيج الكلام وتلوينه ومجيء الفعلية تارة والاسمية أخرى من غير تكلف لما ذكروه ، وقد رأينا الجملة الفعلية تصدر من الأقوياء الخلص اعتمادا على ان المصدر الحاصل بدون تأكيد كقوله تعالى :

(**ربنا آمنا**) ـ ٥٣ آل عمران

ولا شيء بعد : (آمن الرسو) ـ ٢٨٥ البقرة ـ وقد جاء التأكيد فى قوله تعالى :

(إنما نحن مصلحون) ـ ١١ البقرة ـ (٥)

غير ان ما ذكرته كتب التفسير بالنسبة للآية الاخيرة يفيد أن التأكيد الواقع فى الآية هو جواب من المنافقين على أن المعنى : لا تصح مخاطبتنا بذلك فشأننا ليس الا الاصلاح ، وان حالنا متمحضة من شوائب الفساد ، وإنما قالوا ذلك لأنهم تصوروا الفساد بصورة الاصلاح لما فى قلوبهم من مرض وذلك كقوله تعالى :

(**أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا**) ٨ فاطر ـ لهذا عبروا بالجملة الاسمية لإفادة التأكيد حسب زعمهم .

وقد جاء الرد عليهم ابلغ واقوى من كلامهم فقد كان مؤكداً بان وبضمير الفصل وتعريف الخبر فى قوله تعالى :

(**الا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون**) ـ ١٢ البقرة ـ للمبالغة فى الرد عليهم لما ادعوه من قولهم : (**انما نحن مصلحون**) . (٧)

اما قوله تعالى : (لايشعرون) فتدل دلالة واضحة على ان كونهم مفسدين قد ظهر ظهور المحسوس لكن لا حس لهم ليدركوه .

كما أرى ردا على من أنكر ه؛ ان هذه القضية فى الغالب والكثير الأعم ، لكن المتكلم قد يعدل عن الاسم الى الفعل او العكس الى معان أخرى .

فقد يكون المقام يتطلب الفعل ، ولكن المتكلم يستعمل الاسم للايماء بثبوت الشيء واستقراره كثبات الاسم واستقراره .

وقد يكون المقام متطلبا للاسم فيستعمل المتكلم الفعل اشارة الى ان هذا الشيء الثابت قد يتغير او يتجدد .

وكثيرا ما يستعمل الاسلوب القرآنى الاسم بدل الفعل ، او الفعل بدل الاسم كلما تقدم كما يستعمل الفعل الماضى بدل المضارع كما فى قوله تعالى :

(**اتى امر الله فلا تستعجلوه**) ١٠ النحل ـ والمقام يقتضى : «ياتى امر الله للاشارة على تحقيق وقوع الشيء فكأنه وقع .

ولعل هذا ما جعل ابن المنير وغيره ينكر ذلك مستدلا ببعض آيات من هذا النوع .

الهوامش

١ ـ دلائل الاعجاز ٦٣ .
٢ ـ الايضاح فى علوم البلاغة ٥٣ .
٣ ـ الكشاف ٣ : ٣٦٤ ـ ٣٦٥ .
٤ ـ انظر البرهان ٤ : ٧١ .
٥ ـ انظر البحر المحيط ٥ : ٢٤١ .
٦ ـ انظر البرهان ٤ : ٧٢ .
٧ ـ انظر الكشاف ١ : ١٨١